

أنتم شهداء الله في أرضه

السؤال: حديث الرسول -صلى الله عليه وسلم-: «أنتم شهداء الله في أرضه» اتخذ بعض الناس للنيل من أعراض الآخرين والكذب عليهم والحط من قدرهم فما توجيهكم؟

الجواب: لما مر النبي -عليه الصلاة والسلام- بجنائز فأتوا عليها خيراً فقال النبي -عليه الصلاة والسلام- وجبت وجبت ثم مر بجنائز أخرى فأتوا عليها شراً فقال -عليه الصلاة والسلام- وجبت وجبت، ثم قيل له ما وجبت وجبت قال الأول أثنتم عليه خيراً فوجبت له الجنة، والثاني أثنتم عليه شراً فوجبت له النار، أنتم شهداء الله في أرضه، هذا إذا كان القصد منه بيان الواقع للإنسان لاسيما من يخشى منه الضرر فهذا يُتكلّم فيه بما يستحقه لئلا يتعدى ضرره ومخالفته وبدعته إلى الناس، وإلا فالأصل النهي عن إبداء مساوئ الأموات، اذكروا محاسن موتاكم وكفوا عن مساوئهم، أما من يخشى تعدي شره وبدعته فلا مانع من تبيينه كما بيّن العلماء أحوال الرواة جرحاً وتعديلاً، فمثل هذا من باب النصيحة لكن يتقي الله -جل وعلا- من يتصدى لهذا الأمر هل هو بحاجة إلى مثل هذا الكلام، هل الحاجة داعية، هل لا يسعه السكوت في مثل هذا وإذا أمكن بيان الحكم متعلقاً بالوصف أغنى عن بيان الحكم المتعلق بالشخص، إنما تذكر الأوصاف وتذم الأوصاف المذمومة من الشرع، وتُمدح الأوصاف الممدوحة، ولا يتعرض للأشخاص بأعيانهم اللهم إلا إذا لم يتم البيان إلا بذكر الشخص الذي يخشى من ضرره المتعدي أهل العلم فعلوا ذلك، والنبي -عليه الصلاة والسلام- قال بنس أخو العشيبة، المقصود أنّ مثل هذا لا يتخذ ذريعةً ويتوسع فيه ويسترسل فيه فيقدح في من قدحه مصلحة ومن لا مصلحة من جراء قدحه، فلا شك أن أعراض المسلمين محفوظة، وهي كما قال ابن دقيق العيد حفرة من حفر النار، أعراض المسلمين حفرة من حفر النار وقع على شفيرها العلماء والحكام؛ لأنهم هم الذين يحتاجون في الغالب للكلام في الناس، فعليهم أن يحتاطوا لهذه الأعراض هذا فهم لبعض أهل العلم لمثل هذا الكلام، ومنهم من يقول أنّهم هم أكثر من يتكلم فيهم الناس فهم يقفون على شفير هذه الحفرة يدفعون من يتكلم فيهم في هذه الحفرة، والله المستعان.

على كل حال الغيبة محرمة، وأشدُّ منها النميمة، وأكل لحوم المسلمين لاشك أنه من عظام الأمور ومن الكبائر التي جاء الوعيد عليها.

المصدر: برنامج فتاوى نور على الدرب، الحلقة التاسعة والأربعون 1432/9/27هـ